

تجليات الرمز الأسطوري في الخطاب الشعري الجزائري المعاصر ديوان الشاعر "الأخضر فلوس" أنموذجا

Reflections of the mythical symbol in contemporary Algerian poetic discourse, Douawin Lakhdar Floss

العابدي خضرة²

Labdi_K@yahoo.com

زمولي أمينة¹

zemouli.amina.@edu.univ-oran1.dz

جامعة أحمد بن بلة 01- وهران- الجزائر

تاريخ النشر: 2022/06/16

تاريخ القبول: 2022/02/22

تاريخ الاستلام: 2021/11/03

ABSTRACT:

ملخص البحث

The contemporary Algerian poetic discourse has received the attention of scholars and researchers, in all aspects of intellectual fields, artistic characteristics, linguistic levels and literary approaches, where poetic discourse is one of the most sophisticated human discourses with its structure and components that make it present us with a presence in the most beautiful way, through its music it provides a special rhythm. Many contemporary Algerian poets have tended to employ the myth and intensify the use of its symbols in all its forms in their poetry, just like other Arabs, to spread their feelings towards the cause of their nation and defend it, and from here I chose the poets of the Algerian poet Al-Akhdar Floss as a model in extrapolating the legendary method.

Key words: speech - poetry - language - poetic discourse - myth

حظي الخطاب الشعري الجزائري المعاصر باهتمام الدارسين والباحثين، في كل مناحي المجالات الفكرية والخصائص الفنية المستويات اللسانية والمقاربات الأدبية، حيث يعدّ الخطاب الشعري من أكثر الخطابات الإنسانية تطوّرا بما يحمل في بنيته من مقومات تجعله يقدم لنا الوجود في أبهى حلة، فعبر موسيقاه يُقدم إيقاعا خاصا للغة التي تشكل مبناه، فقد جنح الكثير من الشعراء الجزائريين المعاصرين إلى توظيف الأسطورة والتكثيف من استعمال رموزها بشق أشكالها في أشعارهم كغيرهم من العرب، ليبثوا أحاسيسهم تجاه قضية أمهم والدفاع عنها، ومن هنا اخترت دواوين الشاعر الجزائري الأخضر فلوس أنموذجا في استقراء المنهج الأسطوري.

كلمات مفتاحية: الخطاب- الشعر- اللغة-الخطاب الشعري.

مجلة لغة - كلام / مختبر اللغة والتواصل / جامعة غليزان (الجزائر)

¹ المؤلف المرسل : زمولي أمينة

1. مقدمة:

تأتي هذه الدراسة في سياق الكشف عن خصوصيات الخطاب الشعري الجزائري المعاصر كونه حمولة فكرية وثقافية متنوعة المشارب نابعة من أصالة الهوية الشعرية، والبحث موسوم بـ "تجليات الرمز الأسطوري في الخطاب الشعري الجزائري في ديوان الأَخضر فلوس أنموذجا"، في وقت تزامنت فيه النصوص الشعرية في الجزائر، وغابت الدراسات النقدية في هذا الوطن، نصوصا شعرية لشعراء احترفوا الكلمة ورسوموا لأنفسهم فضاء إبداعيا مميزا، وشعرا خالصا، ولكنهم عاشوا اغترابا في حياتهم أولا، وفي إبداعهم ثانيا، والأخضر فلوس واحد من هؤلاء الشعراء الذين لم يأخذوا حقهم من الدراسة والمتابعة النقدية الحقة. أما الأسباب التي دفعتنا إلى تناول هذا الموضوع هو أن الشعر المعاصر في الجزائر لم ينل نصيبه الفعلي من الدراسة، وشعر الأخضر فلوس يمثل نموذجا لهذه التجربة وهو يعد من شعراء الجزائر المعاصرين، فالنص عنده أشبه باللوحة التعبيرية التي تفصح عن إمكانات لغوية ورمزية هائلة، يمسحها غموض فني، وهذا ما يدفعني إلى القول برمزية الشعر عند الشاعر، واتخاذ الرمز أسلوبا من أساليب البناء النصي، وانطلاقا من أن البحث إجابة عن أسئلة تؤسس متنه فقد وضعت جملة من الأسئلة انطلقت منها باحثة في الخطاب الشعري الجزائري المعاصر أجملها فيما يلي:

ما هو مفهوم الخطاب والشعر؟ وما هو مفهوم الأسطورة والرمز؟ وما هو تعريف الخطاب الشعري؟ وهل استطاع الشاعر الأخضر فلوس تطعيم خطابه الشعري بالرمز الأسطوري؟ وطبيعة الدراسة اقتضت مني أن أتبع المنهج الوصفي التحليلي المدعم بالمنهج السيميائي الدلالي، وجاءت الدراسة وفق المحاور التالية:

1. مفهوم الخطاب.
2. تعريف الشعر لغة واصطلاحا.
3. ماهية الخطاب الشعري.
4. تعريف الأسطورة.
5. آليات توظيف الرمز الأسطوري في دواوين "الأخضر فلوس" أنموذجا.

2. ماهية الخطاب.

1.2. في معنى الخطاب لغة: يعتبر مصطلح الخطاب من المصطلحات الهامة في الدراسات النقدية واللغوية المعاصرة، ولقد خاض فيه الدارسون مختلف اتجاهاتهم ومجالاتهم بالدرس والتحليل لكون المصطلح إشكالية لم تحدد معالمه وقوانينه الإجرائية _ ولم يكن هذا المصطلح أوفر حظا من

مصطلحات كثيرة علمية لسانية نقدية معاصرة _على المستويين المصطلح و المفهوم، فقد حظي بتعريفات متعددة بتعدد التخصصات و زوايا الرؤيا أذكر منها :

ورد ذكر كلمة "خطاب" في معجم لسان العرب لابن منظور على أنه مأخوذ من كلمة خَطَبَ، الخَطْبُ: الشأن أو الأمر صغر أو عظم، وقيل هو سبب الأمر، يُقال: ما خطبك؟ أي ما أمرك، وهذا خطبٌ جليل أي أمر جليل. والخطب هو الأمر الذي تقع فيه المخاطبة، والخطاب هو حصول الحدث بين أكثر من طرف بقصد الإفهام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا، وهما يتخاطبان¹، وذكرت كلمة الخطاب في القرآن الكريم منه قوله تعالى: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابَ﴾²، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا أَخٌ لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعِجَةً وَلِ نَعِجَةٍ وَحِدَةٍ فَقَالَ أَكْفَلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾³.

وورد لفظ الخطاب في العديد من الآيات القرآنية وبصيغ ومعان مختلفة، فنجدها ذكرت بصيغة "الخطب" في قوله تعالى: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾⁴، بمعنى فما شأنكم وما طلبكم⁵.

وفي قوله تعالى أيضا: ﴿وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ إِمْرَأَتَيْنِ تَذُودُنِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾⁶، ما خطبكما أي ما شأنكما، أو ما مخطوبكما⁷.

2.2. الخطاب اصطلاحا: ورد مصطلح الخطاب في حقل الدراسات اللغوية الغربية، وقد نما وتطور في ظل التفاعلات التي عرفت تلك الدراسات، ولكن بصورة أشمل فإن هذا المصطلح تعود جذوره إلى عنصري اللغة والكلام⁸، ولعل هاريس هو أول من استعمل مفهوم الخطاب في الدراسات اللسانية الحديثة، إذ وسّع التحليل اللساني إلى ما هو أكبر من الجملة⁹.

وأورد الدكتور طه عبد الرحمن تعريفا اصطلاحيا للخطاب فقال: "إن المنطوق به - أي الخطاب - الذي يصلح أن يكون كلاماً، هو الذي ينهض بتمام مقتضيات التواصلية الواجبة في حق ما يسمى خطاباً ، إذ حدّ الخطاب أنه كلّ منطوق به موجه إلى الغير بغرض إفهامه مقصوداً مخصوصاً¹⁰.

فقد ربط أفلاطون مفهوم الخطاب بالفلسفة ، إذ ترجع إلى إليه أول محاولة جادة تهدف إلى ضبط حدود المفهوم الفلسفي للخطاب ، وشحنه بدلالاته الخاصة استنادا إلى قواعد عقلية محددة ، الأمر الذي يمكن معه التأكد أنه -مع تلك المحاولة الأولى -بدأت تتبلور ملامح الخطاب الفلسفي الحقيقي في الثقافة اليونانية¹¹، ويتصل مفهوم أرسطو للخطاب بالمنطق، إذ يقوم المنطق الأرسطي إلى حد كبير على خصائص اللغة اليونانية ، ففكرة المنطق عند أرسطو تتأثر بمعطيات لغوية نحوية ، ويستعمل هذه المعطيات في الخطاب، ويهدف الخطاب عند أرسطو إلى الإقناع في المحاورات والجدل الذي كان شائعا عند اليونانيين¹².

3. ماهية الشعر.

1.3. مفهوم الشعر لغة: ومادة الشعر تناولتها المعاجم اللغوية القديمة بشيء من الاتفاق حول مفهومه، فقد عرّفه ابن منظور في لسان العرب بقوله: " والشعر منظوم القول عليه لشرفه بالوزن والقافية، وإن كان كل علم شعرا من حيث غلب الفقه على علم الشرع والعود على المندل، والنجم على الثريا ومثل ذلك كثير... وقال الأزهري الشعر القريض المحدود بعلامات لا يجاوزها، والجمع أشعار، وقائله شاعر لأنّه يشعر ما لا يشعر غيره أي يعلم".¹³

بينما الزبيدي يعرفه قائلا: " وعلل صاحب المفردات غلبته على المنظوم بكونه مشتملا على دقائق العرب وخفايا أسرارها ولطائفها قال شيخنا: وهذا القول هو الذي مال إليه أكثر أهل الأدب برقية وكمال مناسبتة، ولما بينه وبين الشعر محرقة من المناسبة في الرقة، كما مال إليه بعض أهل الاشتقاق".¹⁴

2.3. مفهوم الشعر اصطلاحاً: في نظر ابن سلام الجمحي الشعر هو: " صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم... لا تعرفه بصفة ولا وزن دون المعاينة ممن يبصره... ويعرفه الناقد عند المعاينة".¹⁵

فحدّد الشعر عند قدامة بن جعفر هو: " اللفظ الفصيح الصحيح المبني، السليم الترتيب، الموزون السهل العروض، المقفى الفصيح القافية، الدال على معنى واضح من معاني الشعر المخصوصة وهي المدح والهجاء، والمراثي والتشبيه، والوصف والغزل"¹⁶، وأيضاً أبو الهلال العسكري يعرف الشعر بقوله: " الشعر كلام منسوج ولفظ منظوم...".¹⁷

4. ماهية الخطاب الشعري.

1.4. مفهوم الخطاب الشعري: إنّ الخطاب الشعري من الموضوعات التي تعددت حولها الآراء، وتنوعت الوسائل في الوصول إلى جوهرها، وبرغم التعدد والاختلاف فإنّها جميعاً لا تتناقض ولا تتعارض، وإنّما تتعاون وتتعااضد من أجل الوصول إلى غاية واحدة، هي الغوص في عمق العمل الأدبي، وسبر غوره، وتجديد خواصه، وإن كان كلّ اتجاه يسلك مسلكاً يتفق ووجهة نظره، في الوصول إلى بؤرة هذا العمل.¹⁸

فالخطاب الشعري إذن هو مجموعة من النصوص التي تتألف فيما بينها لتكون رسالة معينة مرتبطة ارتباطاً فنياً وجمالياً وزمناً، وتكون هذه الرسالة (الخطاب) جملة بشفرة ما إلى القارئ أو المتلقي وهذا ما يؤكدّه محمد الجزار في قوله: " مصطلح أكثر سعة من النص، وإن كان مبنياً من عدد (DISCOURS) إن الخطاب لا متناه من النصوص وليس الأعمال".¹⁹

5. ماهية الأسطورة.

1.5. الأسطورة في المقاربة المعجمية: زعم بعضهم أن كلمة أسطورة ليست عربية، وإنما "مقتبسة من كلمة" أستوريا "اليونانية، وتعني حكاية أو قصة، إلا أن كلمة أسطورة تعني حكاية غير حقيقية، أو على عكس الحقيقة، بينما الكلمة ذاتها (Historia) وتعني "تاريخ"، ولوغوس (Logos) صارت "علم"، وهنا أصبحت "ميثوس" المترجمة أسطورة بعكس "لوغوس" و"أستوريا" وتعني شيئا غير موجود في الواقع، أي خرافة".

وردت كلمة "الأسطورة" في لسان العرب لابن منظور: "سَطَر: السَطْرُ والسَّطْرُ: الصَّف من الكتاب والشجر النَّخل ونحوها، ويقال سَطَرَ فلانٌ على فلانٍ إذا زَخَرَفَ لَهُ الْأَقَاوِيلَ وَنَمَقَهَا، وَتِلْكَ الْأَقَاوِيلُ الْأَسَاطِيرُ وَالسُّطُرُ"²⁰، وتم ذكرها في القرآن الكريم حيث قال الله تعالى: ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾²¹، وقوله أيضا: ﴿وَقَالُوا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ إَكْتَتَمَهَا فَهِيَ تُمْلِي عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾²².

ويسوق الزبيدي في معجمه "تاج العروس" قوله: "سَطَرَ ما لا أصل له أي يُؤلف، وفي حديث الحسن سألته الأشعث عن شيء من القرآن فقال له: والله إنك ما تسطر على شيء، أي ما تروج. يقال: سطر فلان على فلان، أي خرف له الأقاويل ونمقها"²³، أما في "الصحيح" لصاحبه الفارابي فيقول: "أسطر السطر: الصّف من الشيء. يقال: بَنَى سَطْرًا، وَغَرَسَ سَطْرًا. وَالسَّطْرُ: الْخَطُّ وَالْكِتَابَةُ، وَهُوَ فِي الْأَصْلِ مَصْدَرٌ. وَالسَّطْرُ بِالْتَحْرِيكِ مِثْلُهُ، ثُمَّ يَجْمَعُ عَلَى أَسَاطِيرَ، وَجَمَعَ السَّطْرَ أَسْطُرَ وَسَطُورَ، مِثْلَ أَفْلَسَ وَفَلُوسَ، وَالْأَسَاطِيرُ: الْأَبَاطِيلُ الْوَاحِدُ أَسْطُورَةٌ، بِالضَّمِّ، وَإِسْطَارَةٌ بِالْكَسْرِ"²⁴.

2.5. الأسطورة في المنظومة الاصطلاحية: ذهب نبيلة إبراهيم إلى القول: "يمكننا القول بإيجاز إن الأسطورة محاولة لفهم الكون بظواهر متعددة، أو هي تفسير له إنَّها نتاج وليد الخيال ولكنها لا تخلو من منطق معين ومن فلسفة أولية تطور عنها العلم والفلسفة فيما بعد، فالأسطورة وسيلة حاول الإنسان عن طريقها أن يضيفي على تجربته الحياتية طابعا فكريا وأن يخلع على حقائق الحياة العادية معنًا فلسفيا"²⁵، ونجد أيضا فاروق خورشيد يعرف الأسطورة قائلا بأنَّها: "كلمة يحيطها سحر خاص... يعطي لها من الامتداد ما لا يتوفر للكثير من الكلمات في أية لغة من اللغات، كما أن الأسطورة توحى بالحلم حيث يمتزج بالحقيقة، وبالخيال وهو يثري واقع الحياة بكل ما يغلقه ويطوله وتهويم الطموح الإنساني نحو المعرفة ونحو المجهول، والأسطورة هي الجزء القولِي المصاحب للشعائر الدينية الممارسة بالرقص أو الحركة في الأديان البدائية الأولى، وهي محاولة لتفسير ظواهر الوجود وربط الإنسان بها..."²⁶.

ويعرفها الباحث الفرنسي مرسيا الياد قائلا: "الأسطورة تروي تاريخا مقدسا، تروي حدثا جرى في الزمن الأول (البدائي) وهو زمن البدايات، وبعبارة أخرى تحكي الأسطورة كيف جاءت حقيقة ما إلى الوجود، بفضل مآثر اجتريحتها الكائنات العليا (تأثير القوى الغيبية) سواء كانت هذه الحقيقة مطلقة أو

كانت حقيقة كونية، أو كانت مجرد حقيقة جزئية، لكنها تبقى دائما قصة متعلقة بعملية الخلق، تحكي لنا كيف كان إنتاج شيء كيف بدأ وجوده، فالأسطورة لا تتحدث إلا عما قد حدث فعلا وظهر جليا".²⁷

والأسطورة ليست خيالا كما يظن البعض فهي واقع، وهي عقيدة تتمثل في شعائر معيشة ترتبط بها قصص مقدسة تقوم بعملية توضيح هذه الشعائر وربطها بالاعتقاد، أما حينما يتصور إنسان ما أن الأسطورة خيال، فهذا يعني أنه اتخذ موقفاً منها هو الكفر بها ورفضها، وتحويلها إلى مجرد قصة خيالية تستند إلى الوهم، وبذلك تخرج عن دائرة الدين المعتقد، ولقد حدّد لويس سبنس علم الأساطير بأنه: "دراسة الدين البدائي أو شكل من أشكاله الأولى عندما كان حقيقة معيشة"، بل إن أحمد شمس الدين حجاجي يذهب إلى أبعد من ذلك، فيقرر أنّ الكلمة هي نفسها الأسطورة في حالة ارتباطها بالعقيدة، وحينما تطور تفكير الإنسان ليحدد معنى الألوهية ظلت الكلمة التي كانت الصادرة عن الإله لها قداستها، ولهذا فإن كلمة أسطورة مشتقة من لفظ "Mythos" تعني المنطوق عند اليونان، ويحدد لويس سبنس العلاقة بين الأسطورة والشعر بأن "بعض أشكال الشعر الأولى، وربما أنقاهها نتاج مباشر لحلقات من الانطباعات الطبيعية في ذهن الإنسان، وعلى هذا فإن الشعر والأسطورة انبثاق من الطبيعة، ويخالف بريسكوت هذا الرأي ويرى أن الأسطورة أدركت بالعقل أولاً، ثم جسّدت وعبر عنها في النحت والشعر والملحمة والمسرحية، ومن الخطأ اعتبار هذه الفنون على أنّها ذات أصل ديني فقط".²⁸

6. آليات توظيف الرمز الأسطوري في ديوان الشاعر "الأخضر فلوس" أنموذجا.

1.6. التعريف بالشاعر الأخضر فلوس: الشاعر الأخضر فلوس شاعر جزائري معاصر بدأ يمارس الكتابة على النمط العمودي والحر، ويحاول تطوير تجاربه الشعرية من خلال الإفادة من تقنيات القصيدة الحديثة القائمة على الرمز والأقنعة الفنية المختلفة، وولد الأخضر فلوس "بمدينة الهامل بتاريخ 1959/01/24م انتقل بعدها مع أسرته إلى مدينة عين الحجل التي ترعرع فيها وعاش مراحل حياته فيها"²⁹، وتقع مدينة الهامل في الجنوب الغربي لمدينة بوسعادة وتبعد عنها بـ 10 كلم وهي منطقة تشتهر بنشرها للعلوم الدينية والفقهية بفضل زاويتها التي تعتبر مركزا يرتاده طلاب العلم الراغبين في التحصيل، وقد أسس هذه الزاوية الشيخ محمد بن أبي القاسم بن ربيع سنة 1866 م، وقد تخرج آلاف الطلبة الذين انتشروا في ربوع التراب الوطني من أجل المساهمة في عملية تعريب المدرسة الجزائرية والسير بها نحو الأفضل، وقد أنجبت هذه الزاوية الكثير من رجالات العلم والفكر من بينهم الشيخ عبد الرحمن الديسي والشيخ أحمد بن الحاج محمد القاسمي والشيخ المختار القاسمي، ودرس الشاعر فلوس مراحل الأولى بمدينة عين الحجل وقد كانت له بعض المحاولات تتمثل في قصائد للشعر الملحون وبعد التحاقه بجامعة الجزائر العاصمة، فرع الأدب العربي، وفي هذه المرحلة بدأت التجربة الشعرية تعرف طريقها إلى النضج وبدأ شاعرنا يتحكم في تقنيات بناء القصيدة فتكونت لديه الكثير من المفاهيم المعرفية عن الشعر مما ساعده على خوض تجربة شعرية انتهت إلى إنتاج عدة

دواوين شعرية: (ديوان حقول البنفسج)، و(ديوان أحبك ليس اعترافاً أخيراً)³⁰، وبعد حصوله على شهادة ليسانس انتقل إلى مصر وبالضبط إلى الإسكندرية وذلك لأجل إكمال دراسته العليا وهناك كتب ديوان (عراجين الحنين) والذي طبع في مطبعة جريدة السفير بالإسكندرية عام 1986.³¹

2.6. أعمال الشاعر الأخضر فلوس: صدر للشاعر الأخضر فلوس عدة دواوين شعرية وهي: ديوان أحبك ليس اعترافاً أخيراً وصدر عام 1986 م، وديوان حقول البنفسج وصدر عام 1990 م عن المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، وديوان عراجين الحنين وصدر عام 1990 م عن مطابع جريدة السفير المصرية، وأعاد طبعه اتحاد الكتاب الجزائريين عام 2000 م، وديوان مريثة الرجل الذي رأى صدر عام 2002 م وطبع في المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية الجزائر، وديوان الأنهار الأخرى منشورات أرتيستيك.³²

3.6. الرمز الأسطوري في شعر الأخضر فلوس: الرمز جزء من عالم الشعر اللغوي، يفتح المجال أمام الشاعر لينقل قوى الإبداع الكامنة في موهبته، كي تتألق اللغة وتنمو وتتطور³³، والرمز حياة خفية تسكن أعماق القصيدة، ولكنه يتلأأ ويتوهج بالقراءات المتعددة للقصيدة، لأن الرمز يلخص الإيحاء، والتجدد وثرأ المعنى، لا واحدية الفهم والمباشرة والتقرير، إذ له جانب من لا وعينا، يصعب القبض على دلالاته، أو هكذا كما يقول كال يونغ: "الكلمة أو الصورة تكون رمزا حين توحى بشيء أكثر من معناها الواضح المباشر، وبذلك يكون لها جانب أو مظهر لا شعوري يصعب تحديده، أو تفسيره بدقة وجلاء".³⁴

وأصبح فهم الرمز يؤدي إلى فهم رسالة الشاعر، فالرمز يتطلب إحساسا عميقا بلغة أخرى داخل لغة النص، فالرمز في القصيدة هو الذي يجعلها تكشف عن قصيدة أخرى، تضع الأولى وتبقى الثانية من وراء الرمز³⁵، ويظل الرمز الأسطوري الخيط الرابط بين بداية التاريخ وطفولة العقل البشري واللحظة الراهنة التي يوظف فيها ليجسد حالات وصور يشترك فيها الجنس البشري، وما لجوء الشاعر العربي المعاصر إلى الرموز الأسطورية إلا رغبة في تجاوز الواقع المأسوي الذي تدلهم به الحياة العربية، وتجاوز عالم المادة الذي تنعدم فيه القيم الروحية، معتبرا الأسطورة متنفسا لآلامه وآماله الحبيسة وعالما بديلا يحس فيه بالراحة، فالشاعر الجزائري المعاصر أدرك كغيره من شعراء الوطن العربي واقعه البائس والشرخ الذي أصاب جسد الأمة العربية خاصة بعد هزيمة العرب في حرب حزيران 1967 م.³⁶

ولم يغفل الشاعر فلوس كغيره من الشعراء حاجته للأسطورة كروية رمزية تستخرج منها أعمق الأبعاد الفلسفية والفنية، ووظف الشاعر أسطورة السندباد توظيفاً رمزياً بحيث أن سفريات السندباد أخذت صورة تواقه وهو يجوب المخاطر والشدائد في رحلة مليئة بالقلق، وهواجس المحنة، والسندباد هو دائما الشاعر نفسه، حيث يتقنع محاولاً أن يتجاوز الواقع، تشوفاً إلى عوالم أكثر رحابة

وصفاء³⁷، وقد استهوت هذه الأسطورة العديد من الشعراء، إذ وردت في أشعارهم بكثرة لافتة للنظر.³⁸

والسندباد البحري شخصية من شخصيات ألف ليلة وليلة روتها شهرزاد للملك شهريار في ثلاثين ليلة من لياليها، بطل بحار أسطوري تحدى العقبات ودلل الصعوبات واخترق المحيطات، وهو رمز لمن رحل من دياره ويتمنى العودة أن تكون مكلفة بالنجاح³⁹، وتوظيف فلوس للسندباد لا يظهر من بداية الأحداث أو من خلال تنامي النص إنه يأتي بعد هدأة الأحداث، وبعد انتهاء المخاطر، أي لحظة وضوح الرؤية، وانكشافها، ثم رحلته الهادئة والفرحة بالآتي والمستقبل فيقول:

حملتك موسم خصب..

جميع الجهات محاصرة بالجراد!

وما عرفوا أن جرحك ينزف من رئتي..

وأنت يا بابلية تحيين أمنية ها هنا!

وتحيين نارا بقلب الرماد!

أحبك ليس اعترافا أخيرا!

فهل تقبلين سكون البحار على راحتك..

ليبدأ رحلته السندباد⁴⁰

إنّ السندباد هنا يحمل بحار فيه، يحمل نزيف الصراع الواقع، وحصار الجراد، وهو يبحث عن ملجأ آمن في كنف البابلية، رمز الأمان، والسندباد هو الشاعر ينزع إلى السكون بعد حياة التعب، وليس مثل السندباد الذي يبحث عن المغامرات والاكتشافات، فالسندباد عند فلوس يختلف عن السندباد الحقيقي، أما السندباد في قصيدة "رحيل في الجراح" فهو الإنسان الذي يخاف من المجهول، وهو لكل نموذج عربي لا يبحث عن بديل إيجابي لواقعه السلبي فيقول:

لا السندباد إلى العراق مسافر أبدا، ولا في دربه إيران

كل السفائن في المرافئ قد بكت وتقاسمتها الريح، والأشجان

الجرح يمطر في الأضالع لوعة جرح التمزق ماله إخوان⁴¹

إن رمز السندباد في هذا النص ليس إلا صورة للإنسان العربي الذي يتقاذفه التمزق، وبهذا التوظيف قد أضاف للرمز الأسطوري معنى جديدا اتحد مع تجربته الشعرية، فأضفى على العمل الأدبي ثراء دلاليا وفنيا، وبذلك يتحد المغزى الشعوري العام مع المغزى الخاص بالتجربة الشعرية فتحقق سلامة التعبير وقوته.⁴²

ووظف فلوس الأسطورة الشعبية المحلية "حيزية" حيث يحس القارئ بانتمائه إلى الحياة الجزائرية المحلية في بساطتها، ومزج الحب بالأمل في بدايتها، ثم الحب بالألم في نهايتها، ودمج رمزية اللون الأخضر في هذا النص، فحيزية هي رمز لكل عاشقة صادقة وبريئة، يقول:

وجاءت..

مثل طير أخضر الريشات حيزية

بقامة نخلة فرعاء..

بعينها يغرد جدول صاف

كأنوار سماوية⁴³

ونجد الشاعر قد عرف من الأسطورة اليونانية القديمة رمز أبولو إله الشعر عند اليونان، لتعبير عن واقع سائد ترددت فيه ماهية الشعر، فالشعر رسالة نبيلة يجب أن تؤدي على أكمل وجه ومسؤوليات جسام، تتمثل في بناء مجتمع جديد، وتربية جيل جديد وخلق حركة جديدة⁴⁴، ففي قصيدة "أقنعة تحت النور" تجسد صورة حية لانحياز القيم الشعرية والفنية، ووظف أسطورة أبولو واستغل ما فيها من امتلاء رمزي كبعد نفسي لتجربته المعاصرة يقول:

واحتواني البحر

كانت مدن الشعر تلوك الريح

"أبولو" يغني صفرة الأحزان في عين الخريف

طامعا في قبله فوق شفاه الموت

أو كأسا من الأحلام فوق الأضلع الحيرى⁴⁵

من الأساطير اليونانية التي يستحضرها الشاعر ويدمجها في مناخه الشعري أسطورة "أوليس" التي تجسد في بعدها الأسطوري رمز الطموح الإنساني، والرغبة في كشف الغامض من الأشياء في الحياة، والمغامرة في رحلة المجهول، في قصيدة "قصائد من البحر" فيقول:

دنا نورس وتفرس في الراحلين

وحين تأكد من موضع الشوق مني غمغم!

أوليس أنت!

فقلت ولكن أعود إذا أكملت (بنيلوب) النسيج⁴⁶

ومن الأساطير العربية يستدعي الشاعر فلوس في قصيدته " الصخرة " الأسطورة العربية " هديل الحمام " الذي تزعم الأسطورة أنه مات ضيعة وعطشا في عهد نوح، وأن كل حمامة تنوح إنما تبكي عليه وتناديه دون جدوى⁴⁷ ، فيقول:

ترفرف أجنحة وحمام تدعو هديلا

حنانيك !إني رضيت

ولكن رجلي ضاعت

ولم تعد الآن تعرف أرضا⁴⁸

يستنجد فلوس بالأسطورة العربية فالحمام تدعو هديلاً الذي ضاع فكان التوحد، والاندفاع متجسداً في تلك الصورة المأساوية والشاعر لا زال خاضعاً للصراع الداخلي الناتج عن التسلط الفوقي للسلطة العقلية وعن التداعيات العاطفية.⁴⁹

في نص " نبوءة " يقدم الشاعر فلوس الرمز الأسطوري العنقاء في صورة زاهية، تشع بالتألق والفرح، ولكن بعد حياة الخراب والجنون والانتحار والموت، وطائر العنقاء هو الطائر الذي ينبثق من نفسه من خلال عملية الاحتراق القديمة عند الآشوريين واليونان⁵⁰ ، فيقول:

ها أنا كالبرق أومض، أو أموت

كي تخرج العنقاء زاهية

على سطح الكواكب...والبيوت⁵¹

وعمد الشاعر حين عنون أحد قصائده ووسمها بسمات أسطورة " هيلين " التي ظلت تغزل الصوف منتظرة عودة زوجها- أدونيس- الذي حالت الآلهة دون فعله ذلك، فجسد الشاعر حالته وربطها بحالة هيلين مبرزا معاناته وخيبة أمله وطول انتظاره، فيقول:

هيلين

أقف على لسعات البرودة والزمن المتسلسل بين

الأصابع قلت: انتظرنني...

تبسم هزء.. وأعلن عصيانه.. وانشقاقه⁵²

ووظف أيضا رمزا أسطوريا متمثلا في طائر " الرّخ " العجيب، الذي عكس في صورته صورة واقعه، إضافة إلى الغول الجوال، الذي بيّن من خلال قدرتهما الترهيبية شدة التسلط والمعاناة التي يمارسها الواقع وتجسدها تناقضات الحياة على الحضور الذاتي والجمعي، فيقول:

لقد نزلت قبضة الرّيح وانصرف الناس يسائلون

عن النبأ المرء.. إذ نزلت دمها قطرة..قطرة

وهي تتبع أحلامها الرائحة

إنّهُ السريخرج من أمة نحو أخرى

وتبدين أطلالك السود

ما نخلته الرياح وما عددته الغيوم⁵³

7.الخاتمة:

إن الرمز الأسطوري هو نموذج لجأ إليه الشاعر فلوس متأثراً بالشعراء المعاصرين من أمثال السياب والبياتي و خليل الحاوي، فاستخدامه لهذا النوع من الرموز جاء نتيجة تدمره من حياة ميزها التأزم، فاحتوى هذا الرمز وتوحد معه ثمّ ضمنه مدلولات جديدة وموافق معاصرة تعكس نظرتة للحياة والإنسان، والملاحظ أنّ فلوس قد نجح في استخدام الأسطورة في كثير من النماذج التي حوّر فيها الأسطورة، فأضاف إليها بعدا دلاليا جديدا مع الإشارة أنّ الشاعر لم يكن من أولئك الشعراء الذين يكتفون من استخدام الأسطورة في شعرهم إلى درجة التكديس، فيغدو النص مغلقا ويحرم القارئ من متعته، وبهذا المعطى الأسطوري التصويري اتسمت لدى الشاعر دلالات مجسدة للواقع المتخيل راسمة لأبعاده الحياة والتجربة الشعرية والشعورية لأننا المبدعة، مبرزة قدراتها الفردية الماثرة في المتلقي في إطار زماني يستنطق الحقائق وفق بناء شعري متكامل بلغة الشاعر حين اكتشافه العلاقات المتعددة التي تربط الشعر بالأسطورة سواء على مستوى الأداء التعبيري أم على مستوى الدوافع النفسية، وما تزخر به المعاني.

الهوامش:

¹ ينظر: ابن منظور، لسان العرب، باب الحاء، الخاء، الدال، دار المعارف، القاهرة، د.ت، المجلد الثاني، ج1، ص 1195.

² سورة ص ، الآية 19.

³ سورة ص، الآية 22.

⁴ سورة الذريات، الآية 31.

⁵ جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق عادل أحمد عبد الحميد وآخرون، مكتبة العبيكات، ط1، 1998م، ج5، ص 617.

⁶ سورة القصص، الآية 23.

- ⁷ جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، الكشف عن حقائق الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق عادل أحمد عبد الحميد وآخرون، مرجع سابق، ج4، ص 201.
- ⁸ ينظر: فرديناند دي - سوسير، دروس في الأسنية العامة، تر صالح القرماضي ومحمد الشاوش ومحمد عجينة، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، 9191 م، ص 31.
- ⁹ ينظر: سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي، المركز الثقافي، الدار البيضاء، ط3، 1997 م، ص 17.
- ¹⁰ ينظر: طه عبد الرحمان: اللسان والميزان، طبعة المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1998 م، ص 215.
- ¹¹ ينظر: معين زيادة، الموسوعة الفلسفية العربية، معهد الإنماء العربي، بيروت، 1986، ص 77.
- ¹² ينظر: فايز الداية، علم الدلالة العربي، النظرية والتطبيق، دراسة تاريخية، تأصيلية، نقدية، دار الفكر، دمشق، ط 1، 1996 م، ص 103.
- ¹³ ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ص 410.
- ¹⁴ محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق مصطفى حجازي، مطبعة حكومة الكويت، 1973 م، ج 12، ص 178.
- ¹⁵ محمد بن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، "المقدمة"، تحقيق محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، ط 1، 1974 م، ص 05.
- ¹⁶ قدامة بن جعفر، نقد الشعر، تحقيق كمال مصطفى، نشر الخانجي، القاهرة، ط 3، ص 17.
- ¹⁷ أبو الهلال العسكري، الصناعتين، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، 1986 م، ص 60.
- ¹⁸ ينظر: محمد صالح زكي أبو حميدة، الخطاب الشعري عند محمود درويش دراسة أسلوبية، كلية الآداب، جامعة الأزهر، غزة، ب.ط، (1421 هـ / 2000 م)، ص 27.
- ¹⁹ ينظر: أحمد الصغير المرآغي، الخطاب الشعري في السبعينات، دراسة فنية ودلالية، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط، 2009 م، ص 39.
- ²⁰ ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط 3، 1414 هـ، ج 4، ص 363.
- ²¹ سورة القلم، الآية 01.
- ²² سورة الفرقان، الآية 05.
- ²³ الفارابي أبو نصر اسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، د.ط، (1407 هـ / 1987 م)، ج 3، ص 684.
- ²⁴ ابن فارس أحمد بن زكرياء القزويني الرازي أبو الحسين، مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، د.ط، (1399 هـ / 1979 م)، ج 3، ص 72.
- ²⁵ نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير الأدبي الشعبي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط 3، د.ت، ص 23.
- ²⁶ ينظر: فاروق خورشيد، الأسطورة عند العرب، مكتبة الثقافة الدينية، ط 1، (1424 هـ / 2004 م)، ص 02.
- ²⁷ ينظر: ميرسيا إلياد، مظاهر الأسطورة، ترجمة نهاد خياطة، دار كنعان للدراسات والنشر، دمشق، ط 1، 1991 م، ص 10.

- ²⁸ ينظر: عفيف عبد الرحمان، الأدب الجاهلي في آثار الدارسين قديما وحديثا دار الفكر للنشر والتوزيع، ط1، 1987م، ص 171.
- ²⁹ ينظر: عبد القادر لباشي، الرمز الفني في شعر الأخضر فلوس دراسة تحليلية دلالية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الأدب العربي، إشراف الدكتور بالمدرسة العليا للأساتذة في الأدب والعلوم الإنسانية، بوزريعة، فاتح علاق، 2004/2005، الجزائر، ص 9.
- ³⁰ - ينظر: عبد القادر لباشي، الرمز الفني في شعر الأخضر فلوس دراسة تحليلية دلالية، مرجع سابق، ص 9.
- ³¹ - العربي بن سلامة، محمد العيد تاون، عمار ويس، عزيز لعكاشي موسوعة الشعر الجزائري، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2009م، ص 420.
- ³² ينظر: عبد القادر لباشي، الرمز الفني في شعر الأخضر فلوس دراسة تحليلية دلالية، مرجع سابق، ص 13.
- ³³ ينظر: محمد فتوح، الرمز والرمزية في الشعر العربي المعاصر، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1984م، ص 212.
- ³⁴ ينظر: أحمد بوزيد، الرمز والأسطورة في البناء الاجتماعي، مجلة عالم الفكر، العدد3، 1985م، ص 04.
- ³⁵ ينظر: رجاء عيد، لغة الشعر، قراءة في الشعر العربي الحديث، منشأة المعارف بالإسكندرية، 1985م، ص 109.
- ³⁶ ينظر: فريدة مولي، جمالية الرمز الأسطوري في الشعر الجزائري المعاصر، مجلة العاصمة، المجلد الثامن، 2012م، ص 74.
- ³⁷ ينظر: أنس داود، الأسطورة في الشعر العربي الحديث، مكتبة عين شمس، 1975م، ص 327.
- ³⁸ ينظر: محمد ناصر، الشعر الجزائري الحديث اتجاهاته وخصائصه الفنية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1985م، ص 579.
- ³⁹ ينظر: فايز الداية، جماليات الأسلوب (الصورة الفنية في الأدب العربي)، دار الفكر، دمشق، بيروت، ط2، 1996م، ص 210.
- ⁴⁰ الأخضر فلوس، ديوان أحبك ليس اعترافا أخيرا، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م، ص 10.
- ⁴¹ الأخضر فلوس، ديوان أحبك ليس اعترافا أخيرا، مرجع سابق، ص 72.
- ⁴² ينظر: إبراهيم الحاوي، حركة النقد الحديث والمعاصر في الشعر العربي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1984م، ص 184.
- ⁴³ الأخضر فلوس، أحبك ليس اعترافا أخيرا، مرجع سابق، ص 50.
- ⁴⁴ ينظر: عبد الرحمان ياغي، دراسات في شعر الأرض المحتلة، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ط1، 1969م، ص 108.
- ⁴⁵ الأخضر فلوس، أحبك ليس اعترافا أخيرا، مرجع سابق، ص 77.
- ⁴⁶ الأخضر فلوس، مراثية الرجل الذي رأى، منشورات الاختلاف، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2002م، ص 68.
- ⁴⁷ ينظر: فوزي عيسى، النص الشعري وآليات القراءة، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1997م، ص 134.
- ⁴⁸ الأخضر فلوس، حقول البنفسج، ص 132.
- ⁴⁹ ينظر: مشري بن خليفة، سلطة النص حركية الإبداع في قصيدة الصخرة للأخضر فلوس، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2000م، ص 79.

- ⁵⁰ ينظر: آدموند فولر، موسوعة الأساطير (المثولوجيا اليونانية، الرومانية، الاسكندنافية)، ترجمة حنا عبود، دمشق، الأهالي للطباعة والنشر، ط1، 1997م، ص 178.
- ⁵¹ الأخضر فلوس، عراجين الحنين، ص 83.
- ⁵² الأخضر فلوس، الأنهار الأخرى، منشورات أرتيستيك، الجزائر، ط1، 2007م، ص 99.
- ⁵³ الأخضر فلوس، الأنهار الأخرى، مرجع سابق، ص 17.